طرق التحمل وصيغ الأداء[1]

المراد بطرق التحمل: طرق تلقى الحديث وأخذه عن الشيوخ.

والمراد بصيغ الأداء: الألفاظ التى يؤدى بها المحدِّث فى رواية الحديث وإعطائه للطلاب، مثل: سمعت، أو حدثنى، أو نحو ذلك.

ولا يُشترط لتحمل الحديث الإسلام والبلوغ على الصحيح، لكن يُشترط ذلك للأداء، فتقبل رواية المسلم البالغ ما تحمله من الحديث قبل إسلامه، أو قبل بلوغه، لكن يُشترط التمييز بالنسبة لغير البالغ، وحدد بعض العلماء ذلك بخمس سنين، والصواب اعتبار التمييز، فإن فهم الخطاب ورد الجواب كان مميزًا صحيح السماع، وإلا فلا.

وطرق تحمل الحديث ثمانية: وهى السماع من لفظ الشيخ- القراءة على الشيخ- الإجازة- المناولة- الكتابة- الإعلام- الوصية- الوجادة.

وإليك توضيحها وبيان ألفاظ الأداء لكل منها:

١- السماع من لفظ الشيخ

وصورته أن يقرأ الشيخ ويسمع الطالب، سواء قرأ الشيخ من حفظه أو كتابه، وسواء سمع الطالب وكتب ما سمعه، أو سمع فقط ولم يكتب.

والسماع أعلى أقسام طرق التحمل عند الجمهور.

---

(١) تدريب الراوى ص٢٣٦- وعلوم الحديث ص١١٨- ونزهة النظر ص٧٦- وتيسير مصطلح الحديث ص١٥٨.

وألفاظ الأداء فيها: سمعتُ وحدّثنى، فإن جمع الراوى وقال: سمعنا وحدثنا، فهذا يدل على أنه سمع منه مع غيره، وإن كانت النون قد تُستعمل للعظمة ولكن بقلة.

أما: قال لى، أو ذكر لى، فهو لائق بسماع المذاكرة لا سماع التحديث.

٢- القراءة على الشيخ

ويسميها أكثر المحدّثين «عرضًا»..

وصورتها أن يقرأ الطالب من مرويات شيخه، ويسمع الشيخ منه ليضبطها له، يستوى فى هذا أن يقرأ الطالب، أو يقرأ غيره وهو يسمع، وسواء أكانت القراءة من حفظ أو من كتاب، وسواء أكان الشيخ يتابع القارئ من حفظه، أو أمسك بأصل كتابه هو، أو أمسك ثقة غيره.

واختلفوا فى رتبة القراءة على الشيخ، أهى مساوية للسماع، أم أدنى منه، أم أعلى؟ والصحيح أنها أدنى من السماع.

والأجود فى ألفاظ الأداء فيها: قرأتُ على فلان، أو قُرِئَ عليه وأنا أسمع فأقرّ به.

ويلى ذلك عبارات السماع مقيّدة بلفظ القراءة، كحدثنا قراءة عليه، والشائع عند المحدثين إطلاق لفظ «أخبرنا» فقط دون غيرها.

٣- الإجازة

وهى الإذن بالرواية لفظًا أو كتابة.

وصورتها أن يقول الشيخ لأحد طلابه: أجزتُ لك أن تروى عنى كذا، ومن أنواعها:

(أ) أن يجيز الشيخ معينًا لمعين: كأجزتك صحيح البخارى- وهذا أعلاها.

(ب) أن يجيز معينًا بغير معين: كأجزتك رواية مسموعاتى.

(جـ) أن يجيز غير معين بغير معين: كأجزت أهل زمانى رواية مسموعاتى.

(د) أن يجيز بمجهول أو لمجهول: كأجزتك كتاب السنن، وهو يروى عددًا من السنن، أو أجزت لمحمد بن خالد الدمشقى، وهناك جماعة مشتركون فى هذا الاسم.

(هـ) أن يجيز لمعدوم تبعًا لموجود: كأجزتك لفلان ولمن يولد له، أو استقلالا: كأجزتُ لمن يولد لفلان.

والنوع الأول من هذه الأنواع هو الذى أجازه الجمهور، واستقر العمل عليه، وهو الصحيح.

أما الأنواع الأخرى فاختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا، وهى ما بين هزيل أو باطل.

وألفاظ الأداء فى هذه الطريق أن يقول الراوى: أجاز لى فلان، أو حدثنا إجازة، أو أخبرنا إجازة، أو أنبأنا إجازة.

٤- **المناولة**: وهى نوعان

(أ) المناولة المقرونة بالإجازة، وهى أعلى أنواع الإجازة مطلقًا، كأن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه ويقول له: هذا روايتى عن فلان فاروه عنى، ثم يبقيه معه تمليكًا أو إعارة لينسخه- وهذه تجوز الرواية بها، وهى أدنى مرتبة من السماع والقراءة على الشيخ.

(ب) المناولة المجردة عن الإجازة، بأن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه مقتصرًا على قوله: هذا سماعى- وهذه لا يجوز الرواية بها على الصحيح.

وألفاظ الأداء فيها أن يقول: «ناولنى وأجازنى» أو «ناولنى» أو «حدّثنا مناولة وإجازة» أو «أخبرنا مناولة».

٥- الكتابة

وهى أن يكتب الشيخ مسموعه لحاضر أو غائب بخطه أو بأمره، وهى نوعان:

(أ) كتابة مقرونة بالإجازة: كأجزتك ما كتبتُ لك، أو إليك، أو نحو ذلك- والرواية بها صحيحة، وهى فى قوة المناولة المقرونة بالإجازة.

(ب) كتابة مجردة عن الإجازة: كأن يكتب له بعض الأحاديث ويرسلها له، ولا يجيزه بروايتها- وهذه اختلفوا فى حكمها.

فمنعها قوم- وأجازها آخرون إذا عرف المكتوب إليه خط الكاتب.

٦- الإعلام

وهو إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه من فلان مقتصرًا عليه، دون أن يأذن فى روايته عنه.

واختلف العلماء فى حكم الرواية بالإعلام، فأجازه قوم- ومنعها آخرون.

وألفاظ الأداء فيها، أن يقول فى الأداء: أعلمنى شيخى بكذا.

٧- الوصية

وهى أن يوصى الشيخ عند موته أو سفره لشخص بكتاب من كتبه التى يرويها.

والرواية بالوصية أجازها بعضهم- والصواب عدم الجواز.

وألفاظ الأداء فيها أن يقول الراوى: أوصى إلىَّ فلان بكذا. أو حدثنى فلان وصية.

٨- الوِجادة

بكسر الواو- مصدر «وجد» وهو مصدر مولَّد غير مسموع من العرب- وهى: أن يجد الطالب أحاديث بخط شيخ يرويها يعرفه ذلك الطالب، وليس له سماع منه ولا إجازة.

والرواية بالوجادة من باب المنقطع. لكن فيها نوع اتصال.

وألفاظ الأداء فيها أن يقول الواجد: «وجدتُ بخط فلان، أو قرأتُ بخط فلان كذا» ثم يسوق الإسناد والمتن.

***

الفرق بين «مثله» و«نحوه»

قد يروى المحدِّث الحديث بإسناد، ثم يتبعه بإسناد آخر، ويقول عند انتهائه: «مثله» أو «نحوه» فهل هما بمعنى واحد؟

الذى عليه المحققون من العلماء التفرقة بين أن يقول: «مثله» أو يقول: «نحوه» فلا يحل له أن يقول: «مثله» إلا بعد أن يعلم أن الحديث فى الإسنادين على لفظ واحد، ويحل له أن يقول: «نحوه» إذا كان الحديث فى الإسناد الثانى على مثل معانى الأول، وليس بلفظه.

وإذا روى المحدِّث بإسناد ثم أتبعه بإسناد آخر، وقال عند انتهائه: «مثله»، فأراد الراوى عنه أن يقتصر على الإسناد الثانى ويسوق لفظ الحديث المذكور عقيب الإسناد الأول، فالأظهر المنع من ذلك، وكذا إذا كان المحدِّث قد قال: «نحوه».

وأجاز بعضهم هذا فى «مثله» دون «نحوه».

وإذا ذكر الشيخ إسناد الحديث ولم يذكر من متنه إلا طرفًا منه ثم قال: «وذكر الحديث» أو قال: «وذكر الحديث بطوله» فأراد الراوى عنه أن يروى عنه الحديث بكماله وبطوله فهذا أولى بالمنع مما سبق ذكره فى قوله: «مثله» أو «نحوه»، وإنما يبين ذلك بأن يقتضى ما ذكره الشيخ على وجهه فيقول: «قال: ذكر الحديث بطوله» ثم يقول: والحديث بطوله هو كذا وكذا.. ويسوقه إلى آخره.

• أشهر المصنفات فى «علم المصطلح»

١- المحدِّث الفاصل بين الراوى والواعى: صنّفه القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهزمزى (ت ٣٦٠هـ) لكنه لم يستوعب أبحاث المصطلح كلها.

٢- معرفة علوم الحديث: صنّفه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (ت ٤٠٥هـ) لكنه لم يُهذب الأبحاث، ولم يرتبها ترتيبًا فنيًا مناسبًا.

٣- المستخرج على معرفة علوم الحديث: صنفه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ) استدرك فيه على الحاكم النيسابورى ما فاته فى كتابه «معرفة علوم الحديث».

٤- الكفاية فى علم الرواية: صنّفه أبو بكر أحمد بن علىّ بن ثابت الخطيب البغدادى المشهور (ت ٤٦٣هـ).

٥- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع: صنّفه الخطيب البغدادى كذلك.

٦- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييم السماع: صنّفه القاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤هـ).

٧- ما لا يسع المحدِّث جهله: صنّفه أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانجى (ت ٥٨٠هـ).

٨- علوم الحديث: صنّفه أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المشهور بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) وشهرة تسمية الكتاب «مقدمة ابن الصلاح» وهو من أجود الكتب فى المصطلح جمع فيه مؤلفه ما تفرق فى غيره من كتب الخطيب ومن تقدمه، وهو عمدة من جاء بعده من العلماء، فكم من مختصر له وناظم، ومعارض له ومنتصر.

٩- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير: صنَّفه محيى الدين يحيى بن شرف النووى (ت ٦٧٦هـ) وهو اختصار لكتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح.

١٠- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى: صنفه جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١هـ) وهو شرح لكتاب «تقريب النواوى».

١١- نظم الدور فى علم الأثر: منظومة صنَّفها زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت ٨٠٦هـ) ومشهورة باسم «ألفية العراقى» نظم فيها «علوم الحديث» لابن الصلاح. وعليها شروح متعددة، منها شرحان للمؤلف نفسه.

١٢- فتح المغيث فى شرح ألفية الحديث: صنّفه محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت ٩٠٢هـ) وهو أوفى شرح على ألفية العراقى.

١٣- فتح الباقى على ألفية العراقى: صنّفه الحافظ زين الدين الشيخ زكرياء بن محمد بن أحمد بن زكرياء الأنصارى (ت ٩٢٥هـ).

١٤- نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر: صنفه الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) وهو جزء مختصر لكنه من أجود المختصرات وأفضلها ترتيبًا وتقسيمًا، وقد شرحه مؤلفه بشرح سماه «نزهة النظر» كما شرحه غيره.

١٥- المنظومة البيقونية: صنفها عمر بن محمد البيقونى (ت ١٠٨٠هـ) وهى من المنظومات المختصرة النافعة المشهورة، وعليها شروح متعددة منها «شرح الزرقانى على البيقونية» للشيخ محمد الزرقانى.

١٦- قواعد التحديث: صنّفه محمد جمال الدين القاسمى (ت ١٣٣٢هـ).

١٧- تيسير مصطلح الحديث: صنفه الدكتور محمود الطحان، وهو أستاذ معاصر، بارك الله فى عمره ونفع به، وكتابه هذا من أيسر الكتب تناولا لموضوعاته.